

الداعية المصلح و الرحالـة الخطـيب

الشـيخ الفـضـيل الورـتـيلـانـي الأـزـهـري الجـازـائـري

[1318-1900هـ / 1959-1959م]

د. أحمد عيساوي

جامعة باتنة - الجزائر

تمهيد :

كتب الشـيخ محمد الأـكـحل شـرـفاء يـصـفـ أـسـتـاذـهـ الفـضـيلـ الـورـتـيلـانـيـ فـقـالـ : ((.. إنـ نفسـ الـورـتـيلـانـيـ العـظـيمـ منـ تـلـكـ الفـتـةـ الـأـوـلـىـ الـأـصـيـلـةـ :ـ تـلـكـ التـيـ تـشـبـهـ الـمـعـدـنـ الـذـهـبـيـ،ـ ذـلـكـ الـذـيـ يـصـهـرـ بـالـنـارـ،ـ وـلـكـنـهـ يـخـرـجـ مـنـهـاـ الـمـعـمـ ماـ يـكـونـ بـرـيقـاـ،ـ وـأـنـقـىـ ماـ يـكـونـ مـنـ الـشـوـائبـ،ـ وـهـذـاـ نـفـسـ مـاـ حـدـثـ لـلـفـضـيلـ،ـ فـلـقـدـ مـرـتـ عـلـيـهـ كـمـاـ تـمـرـ عـلـىـ الـأـفـذـاذـ الـعـابـرـةـ،ـ ظـرـوفـ عـابـسـةـ،ـ حـسـبـهـ النـاسـ حـجـابـاـ صـفـيـقاـ بـيـنـ مـاضـيـهـ وـمـسـتـقـبـلـهـ،ـ وـلـكـنـهـ سـرـعـانـ مـاـ اـنـقـشـعـ كـمـاـ تـنـقـشـعـ السـحـبـ الـشـقـالـ عـنـ وـجـهـ الـشـمـسـ،ـ فـأـشـرـفـ الـورـتـيلـانـيـ مـنـ جـدـيدـ عـلـىـ دـنـيـاـ إـلـسـلـامـ وـالـعـروـبـةـ بـالـأـضـوـاءـ الـكـاـشـفـةـ،ـ فـأـنـارـ طـرـيقـ الـكـفـاحـ مـنـ جـدـيدـ،ـ وـفـتـحـ جـبـهـ الـجـهـادـ مـنـ جـدـيدـ،ـ وـتـبـواـ مـرـكـزـهـ الـعـظـيمـ بـيـنـ أـسـاطـيـنـ الـنـهـضـةـ إـلـسـلـامـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ إـلـسـلـامـيـ))^(٥).

المرحوم الشـيخـ الفـضـيلـ الـورـتـيلـانـيـ شـخـصـيـةـ وـأـسـلـوبـهـ وـبـيـانـهـ،ـ وـشـجـاعـتـهـ وـاقـدامـهـ.ـ وـتـوكـلهـ فـرـيـدةـ مـنـ نـوـعـهـاـ.ـ وـنـوـعـيـةـ مـتـمـيـزةـ فـيـ عـالـمـ الدـعـوـةـ وـالـإـصـلـاحـ الـدـينـيـ فـيـ الـجـازـائـرـ وـفـيـ الـعـالـمـينـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلـامـيـ.ـ وـهـوـ مـنـ أـهـمـ الشـخـصـيـاتـ الـدـعـوـيـةـ وـالـإـصـلـاحـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ وـالـدـينـيـةـ الـجـازـائـرـيـةـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيثـ:ـ إـذـ لـمـ تـرـفـعـ الـجـازـائـرـ بـيـنـ الـجـمـعـ الـغـيـرـ مـنـ عـلـمـائـهـ وـدـعـائـهـ وـمـصـلـحـيـهـ نـمـطـاـ دـعـوـيـاـ يـشـابـهـهـ فـيـ حـلـهـ وـتـرـحالـهـ.

- كانت الجزائر في غليان دائم ومستمر. ثم ظهرت فيها التمردات الثورية بحدة. وسادت فيها أيضاً الاضطرابات السياسية. وعمتها النشاطات الثقافية والأدبية المتنوعة^[١].
- إن الاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية. ولكنها أيقظها. وقواماً بتوفير أسباب نضجها وبروزها.
- لقد قامت هذه الوطنية برد فعل عنيف ضد الاحتلال الأجنبي ورغم حجم الإجراءات المضادة التي اتخذها الاحتلال لاضعافها حقبة. فإنها قد ظهرت مرة أخرى في آخر القرن الماضي مستعملة تكتيكاً جديداً، وضغطتا قوياً ضد الاحتلال.
- لقد كان العاق الجزائر بفرنسا سنة ١٨٣٤ م. واصدار قانون مجلس الشيوخ (سانتوس كونسييل) سنة ١٨٦٥ م. و(قانون الأهالي كود دولانديجان) سنة ١٨٨١ م. وإنشاء محاكم الاضطهاد الخاصة (تربينو ريبيريسيف) سنة ١٩٠٢ م. والتجنيد الإجباري سنة ١٩١٢ م. (كل ذلك) خرقاً للاتفاق المبرم سنة ١٨٢٠ بين الجزائر وفرنسا. كما كان خرقاً لجميع المبادئ الديمقراطية. التي تتبعها فرنسا صاحبة الثورة الفرنسية ومبادئها العادلة.
- لقد كان الحكم الفرنسي في الجزائر حكماً رديعاً. زجرياً. قمعياً. اضطهادياً. وسلباً أيضاً.
- يتحمل المستعمرون. وساسة فرنسا على قدم المساواة مسؤولية تردي أوضاع الجزائريين.
- كانت مساعدات وإعانات القوى المناوئة لفرنسا للحركة الوطنية ضئيلة جداً. وغير حاسمة.

التعريف والدعابة والنصرة للقضية الجزائرية في جميع أنحاء المعمورة. إلى أن توفي - يرحمه الله - في تركيا وحيداً غريباً عن وطنه. ووري التراب دون حضور الأهل والخلان. حتى تقطعت له الجزائر في عهد الرئيس السابق (الشاذلي بن جديد ١٩٧٩-١٩٩١ م) فقتل رفاته سنة ١٩٨٧ م. ودفن في قريتهبني الورتيلان بالقرب من مدينة سطيف.

ولعل إلقاءنا بعض الأضواء على بيته وظروف عصره السياسية والثقافية. التي ولد وعاش ونشأ وتعلم فيها. قبل أن يهاجر بقضية الجزائر إلى سائر دول العالم ما يكشف لناحقيقة المهمة الدعوية والإصلاحية الجسامية التي اضطلع بها في حياته الجهادية الثرية .

بيته وظروف عصره :

وسنعرض فيها لوضع الجزائر السياسي والثقافي والتربوي والاجتماعي بشيء من الدقة والعمق والتركيز. عمد़ين إلى الخلاصات والنتائج التي توصل إليها المؤرخون الجزائريون ضماناً لدقّة التشخيص. ووضوح الرؤية القائمة للفترة الحالية التي مررت بها الجزائر غداة النصف الأول من القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٨ م. حيث عاش ودعا وجاهد ورحل وخطب الشيخ الفضيل الورتيلاني - يرحمه الله - في سبيل الإسلام والعروبة والجزائر إلى أن لاقى ربه مرضياً .

وضع الجزائر السياسي عدّة القرن العشرين:

اختزل المؤرخ الجزائري الباحث الاستاذ الدكتور العلامة أبو القاسم سعد الله وغيره من الباحثين والمؤرخين الجزائريين وضع الجزائر السياسي في الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٠٠-١٩٤٠ م في المحطات البارزة التالية :

المخطط كبار أساتذة الاستعمار الفرنسي. وهم متخصصون في كل العلوم الإنسانية وعارقون بالدقائق الخفية للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد الجزائري. وكان هذا المخطط ذات حدفين متوازيين متكاملين : الأول مباشر. وتمثل في غلق جميع الفرص أمام الجزائري. التي تمكنه من تعلم لغته الوطنية. وهذا يطبق في المدرسة على الخصوص.. والثاني غير مباشر تمثل في إفساد الذوق الفني الجزائري في الأغنية، والموسيقى، والمسرح، والأدب. وسهر على تطبيق هذه الخطة جهاز الإعلام الفرنسي المتتطور ..^{١٠}

ويضيف الدكتور عثمان سعدي مبيناً مخطط الاستعمار الفرنسي مسخ وتشويه معالم الشخصية الجزائرية بقوله: ((... وكل المجهودات التي بذلتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر حيال الفرد والمجتمع الجزائري في النواحي التربوية والتعليمية والثقافية، إنما هدفت بالأساس للقضاء على اللغة العربية أولاً المقوم الرئيسي للثقافة العربية والدين الإسلامي. والتي تحويل الفرد الجزائري من لغته وثقافته ودينه إلى لغة المستعمر وثقافته ودينه ..^{١١})).

وقد مرت في عملياتها التجينية تلك، بواسطة مجموعة من الإجراءات والوسائل والأساليب. محولة الفرد الجزائري بالتدريج من فرد ناقم ومقاوم ومحارب للإمبريالية، إلى فرد راض بالتعايش مع الإمبريالية. ثم إلى فرد خاضع للإمبريالية. ثم إلى فرد متميز بخاصية القابلية للإمبريالية والاستدلال. ثم إلى درجة المسلم المطلق بحتمية الاستعمار الفرنسي عليه. وقدره المحتوم عليه وذلك عبر جملة من الأساليب والوسائل والإجراءات التهيرية التي من أهمها:

٨ - اعتمد الجزائريون على أنفسهم في تكوين حركتهم التهضمية الوطنية دون انتظار عنون من أحد.

٩ - إن طلب الجزائريين المساواة مع الفرنسيين لم يكن ضد قيمهم الوطنية الأصيلة. بل كان مجرد وسيلة لحماية حركتهم من القوانين الاستثنائية. وهي هي - حد ذاتها - حركة إيجابية الهدف منها مخادعة القوانين ال مجرية الاستثنائية الفرنسية القاسية .

١٠ - لم يكن وجود الثقافة الفرنسية في الجزائر عامل إنعاش، وترقية للثقافة الجزائرية الوطنية - كما يدعى بعض الناعقين - بمقدار ما كانت عامل قمع، وقهقر، ومطاردة.

١١ - إن عدم وجود قوة إقليمية كبيرة، أو عالمية تنافر فرنسا على الجزائر. - مع اعتقاد فرنسا بكون الجزائر مقاطعة فرنسية تابعة لها - قد ساعد وساهم في عزلة الحركة الوطنية الجزائرية^{١٢}.

أما وضع الجزائري الثقافي والاجتماعي والتربوي واللغوي والديني... فلم يكن أفضل حالاً من وضعها السياسي. ولعل القاءنا الأضواء عليه يبين لنا حالة التردي التي كان يرسف فيها الجزائريون. ومنهم الشيخ النضيل الورتيلاني برحمه الله .

وضع الجزائري الثقافي غداة القرن العشرين :

أما وضع الجزائري والشعب الجزائري الثقافي واللغوي والديني والتعليمي والتربوي والفنوي فقد وصفه الباحث الدكتور عثمان سعدي بقوله: ((... لقد كان مخططاً الاستعمار طوال وجوده بالجزائر مبنياً على إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي والوطني لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها). وكان يشرف على تطبيق هذا

- والعلم، والفقه، والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة.
- ١٠ - فرنسة الإدارة، ووسائل الإعلام، وجميع مجالات الفكر، والأدب، والفن، والثقافة، ومطاردة الثقافة العربية الإسلامية في جميع المجالات.
- ١١ - تعطيل التوادي العربية الحرة التي كانت تقوم بنشر اللغة العربية، وتربية النشء على القيم العربية الإسلامية الأصيلة.
- ١٢ - تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية لكل المسلمين الجزائريين وفرض الاحتكام إلى القوانين الوضعية الفرنسية، أو إلى العرف والعادات بالنسبة لبلاد القبائل.
- ١٣ - إخضاع جميع المؤسسات الدينية إلى السلطة الاستعمارية المباشرة، ورفض العمل بقانون فصل الدين عن الدولة.
- ١٤ - فتح الجزائر أمام البعثات التبشرية المسيحية على اختلاف مذاهبها، وتمكين تلك البعثات من كل الأساليب المادية والمعنوية والبشرية والقانونية.
- ١٥ - القضاء على كل مراكز الثقافة العربية الإسلامية. من : جوامع، ومساجد، ومدارس، وزوايا، وكتاكيت، ورباطات، ومكتبات..^(١).
- ١٦ - تكوين جيل مشوه وممسوخ من الجزائريين لا صلة له بأمته، وتاريخه، ولغته، ودينه، ومجتمعه الجزائري. وذلك بدمجهم ضمن إطار الثقافة والقوانين الفرنسية ليصبحوا مسلمين فرنسيين متدمجين يشكلون حيوب تبعية للاستعمار الفرنسي في حالة وجوده ورحيله، وهو ما تم بالفعل بعد استقلال الجزائر المظاهري سنة ١٩٦٢ م. وما كاد يمضي على الجزائر والجزائريين قرن
- ١ - محاربة اللغة العربية محاربة استئصالية شديدة، وتقسيمها إلى ثلاث لغات: (عافية، قديمة، حديثة). وذلك بغية محوها من عالم الشهد العصاري المحلي والإقليمي والعالمي.
- ٢ - محاربة الدين الإسلامي الحنيف. كدين متكامل - حمى الجزائر عبر فتراتها التاريخية المتلاحقة - والتقليل من شأنه. وتشويهه بشتى أساليب التشويه والمسخ.
- ٣ - اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في دارها وبين أهلها بموجب قانون ٠٨ / مارس / ١٩٢٨ م.
- ٤ - فرنسة مراحل التعليم، وطبعها بالطابع الأوروبي المسيحي.
- ٥ - تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام، وضرب قيم الانتماء، ومقومات الهوية العربية الإسلامية للفرد وللمجتمع الجزائري.
- ٦ - عدم تدريس الجزائريين تاريخهم الوطني العريق العربي الإسلامي، وعدم تدريس جغرافية بلادهم والعالم العربي والإسلامي، والاستعاضة عنهم بتدريس تاريخ وجغرافية فرنسا وأوروبا والصلبية، والوثنية اليونانية والرومانية البائدة^(٢).
- ٧ - تقديم الثقافة المسيحية القوية الناهضة بديلا عن الثقافة العربية الإسلامية الضعيفة المهزومة.
- ٨ - ضرب ستار حديدي مقيد وعازل للجزائر عن وسطها الطبيعي وامتدادها العربي الإسلامي. وذلك بهدف عزلها حضاريا.
- ٩ - تضييق الخناق، وضرب الحصار، بالنفي، والتشريد، والسجن، والغرامات، وقيود التراخيص وغيرها .. على كل رجال الفكر.

الطالب والمطلوب. وهجرت ربوة العلم. وخررت دور الكتب. وصارت الديار مرتعاً للجهل والجهلاء. وكادت تدرس معالم اللغة العربية. كما تطرقت إلى اللغة العالمية الكلمات الأجنبية. بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل: وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها من السواحل والشores...^{١٢١}

وفي ظل هذه الأوضاع الثقافية المتردية ولد وعاش وتربى وتعلم الشيخ الفضيل الورتيلاني وأمثاله. ومارسوا نشاطهم الدعوي والإصلاحي الشاق، الذي ستحاول - بعون الله - الكشف عنه في هذه الدراسة المتواضعة.

أصله وموالده ونشأته وتعلمه :

ولد السيد حسين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل الورتيلاني يوم ١٨ فبراير ١٩٠٠ م في قرية [أنو] ببلدية بني ورتيلان بولاية سطيف. وكان مسجلاً في بلدية [بوقاعة - لفافيت سابقاً]-^{١٣٠}.

وقد عاش في عائلة كريمة محافظة ذات علم ومجده ومكانة وفضل. فقد كان جده الأعلى لأبيه الشيخ الحسين الورتيلاني من أكابر علماء عصره. وقد ترك بعد وفاته العديد من المؤلفات الدينية. منها: [شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار]. و[الكوكب العرهانية والشوارق الآنية في شرح الألفاظ القدسية]. وهي قصيدة في علم التصوف للشيخ العلامة المالكي (عبد الرحمن الأخضرى) صاحب السلم المرءون في علم المنطق وغيره من المؤلفات والشروح والحواشي القيمة^{١٣١}.

وفي تلك العائلة الفاضلة تربى الفضيل. فحفظ القرآن الكريم والمبادئ الأولية للعلوم العربية والدينية. وتلتمذ على يد العالم الفاضل الشيخ محمد السعيد البهلواني^{١٣٢}.

وثلث القرن من الاستعمار حتى كانت نسبة الأمية تشكل في رجاله ٩٥٪ . وفي نسائه ٩٨٪.^{١٣٣}

هذه هي حضارة أوربا المسيحية التي حملتها إلى العالم العربي والإسلامي لتحضيره وتمدينه. والتي تربى في أحضانها الأجيال والناشئة من أمثال الشیخ المرحوم الفضیل.

وعندما زارها الزعيم المصري الكبير الأستاذ (محمد فريد بك وجدي) ووصف واقع الجزائري والشعب والجزائري الثقافي مع مطلع القرن العشرين، الذي تناوله بكثير من الفهم والعمق والشجاعة والإسهاب. واضعاً يده على الأسباب والدوافع الحقيقية والتاريخية له. ومما جاء فيه قوله: (...) كانت ربوة العلم آهلة بالطلاب. وجوامع التطرف الجزائري ملأى بالمعلمين والمتعلمين. ودور الكتب عامرة بالمؤلفات. والمطالعين. واشتهر من بين أهل الجزائر كثير من الكتبة والمؤلفين. إلى أن أخذت هذه الحال تتبدل في أوائل القرن الماضي. وكانت الفتاح^{١٣٤} الفرنسياوي الضربة القاضية. على العلم وأهله. بسبب اشتغال جميع الأهالي بمحاربة المغيرين على بلادهم. والدفاع عن ديارهم حقبة من الزمان. وما أعقب تلك المقاومة الشديدة من مصادرة الحكومة الفاتحة لأملاك أغلب العائلات الكبيرة. عقاباً لها عن دفاعها عن وطنها. ومهاجرة الكثير من عصائرها. ومتربتها إلى البلاد الإسلامية الأخرى. ووضع الحكومة يدها على جميع الأوقاف الخيرية بلا استثناء. بما فيها المحبوسة على الجوامع والطلبة والمدرسين مقابل ترتيب مبلغ زهيد في ميزانيتها لما يبقى من الجوامع بعد التي حولت إلى كنائس. أو هدمت لإصلاح طريق، أو بناء قلعة. أو استعملت ثكنة للجند أو غير ذلك. فأصبحت البلاد ولم يبق فيها من المدرسين بالجوامع إلا ما يعد على الأصابع. وقل

- ١ - انتسابه لأسرة كريمة ومحافظة مشهورة بالعلم والأدب والفضل.
- ٢ - تلقيه تربية دينية وأخلاقية صالحة، وبقاوئه وفيما لفطرته السمعة التي فطر الله الناس عليها. فلم يُعرف عنه التبديل أو التغيير أو التحرير أو الانزلاق..
- ٣ - ذكاؤه وفضنته وشجاعته وجرأته في الحق. وثراء قدراته ومواهبه الفطرية المتعددة .
- ٤ - حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة، وحفظه للأحاديث والأخبار الصحاح، وتعلم اللغة العربية.
- ٥ - تلمسه على يد الشيخ المرحوم عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر من سنة ١٩٢٨-١٩٣٢ م.
- ٦ - تقريب الشيخ عبد الحميد له وتوليه بعض المهام التربوية والتعليمية والدينية والصحفية والدعوية .
- ٧ - هجرته الدعوية المبكرة إلى فرنسا بتكليف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتولي شؤون الجالية الجزائرية الأمية المهاجرة من سنة ١٩٣٦-١٩٤٠ م .
- ٨ - تلقيه تعليماً جامعياً عالياً في الأزهر الشريف من سنة ١٩٤٢-١٩٤٩ م. وحصوله على شهادة العالمية في الشريعة وأصول الدين .
- ٩ - إقامته الطويلة والمعمرة في المشرق العربي منذ سنة ١٩٤٢ م إلى وفاته سنة ١٩٥٩ م .
- ١٠ - علاقاته ومصداقاته العديدة مع رجال الدعوة والإصلاح الديني أمثال الشيخ المرحوم الشهيد [حسن البنا] والشيخ [محمد محمد رمضان] وسائر رجال جماعة الإخوان المسلمين. وجماعة

وقد وصفه حق الوصف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقال: (.. . ومعرفة الأستاذ الورقياني لا تتم، إلا بمعرفة نشأته وتربيته الأولى. فقد نشأ على مقربة من الفطرة السليمة. وتربي تربية دينية يتعاهدها المربى من والدين ومعلمين بالمحاسبة على الصغيرة والكبيرة. والمناقشة في الجليلة والحقيرة. فأيقن وشب مرتأض الطبع على المحاسبة والمناقشة والاهتمام والجد. مع توحّي الإحساس. وشرف الروح وسمو الغاية. يعاون ذلك كله ذكاء متقد. وبديهية مطلاوعة في مجالات القول. ولسان كالسيف المأثور إذا لاق الضربة صمم. وما زالت تلوح على تفكيره ورأيه آثار من تلك التربية. يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها ..)^{١٣١}.

وفي خريف من سنة ١٩٢٨ م سافر إلى قسنطينة والتحق بحلقات ودورس الشيخ عبد الحميد بن باديس فتتلمذ على يديه، وبعد تخرجه تولى التدريس معه في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة. فتخرج على يديه خلق كثير من التلاميذ، الذين اضطاعوا بالعمل الإصلاحي والتثوري في الجزائر. وأعجب به الشيخ عبد الحميد بن باديس أياً إعجاب، وصار يصطحبه معه أينما ذهب. ويتباهي به في كل مجلس. ويستخلفه في غيابه من بعده في شؤون التربية والتعليم والإدارة. كما كان يرسله ممثلاً ونائباً عنه في الكثير من المناسبات التربوية والتعليمية والدينية والاجتماعية ..^{١٣٢}

عوامل نبوغه :

اجتمعت جملة من العوامل الفطرية والمكتسبة لتجعل من شخصية الشيخ الفضيل الورقياني شخصية نابعة ومتمنية في عصره. وأهم هذه العوامل هي:

وسقوط فرنسا بيد الألمان سنة ١٩٤٠ م فهرب إلى مصر^{٢٣١}.

وفي مصر كان له تاريخ حافل بالتأثير والأمجاد. كما كان سجله الدعوي والحركي والديني والعلمي عظيماً في تلك الفترة، التي بدأها بمتابعة دراسته في جامع الأزهر، إلى حصوله منه على شهادة العالمية الأزهرية. ثم رئساً ممثلاً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مصر إلى غاية التحاق الشيخ البشير الإبراهيمي سنة ١٩٥٢ م. ثم عضواً فاعلاً في جماعة الإخوان المسلمين. وكثيراً ما كان الشيخ [حسن البنا] ينوبه في الخطابة عنه في الكثير من المناسبات؛ ولاسيما دروسه ومحاضراته الإرشادية الأسبوعية. كما كانت له العديد من التدخلات والمشاركات النضالية السياسية والفكرية والأدبية والدينية في جماعة [الإخوان المسلمين]. و[جمعية الشبان المسلمين] بمصر وفي بعض الأقطار العربية الأخرى. وكذلك علاقته الإصلاحية والدعوية الوطيدة بجماعة [عبد الرحمن] بيروت، التي اعترفت بجميله في خدمة الدعوة الإسلامية فطبعت مقالاته النارية الثائرة - التي كان يعرف فيها بعدلة التصيبة الجزائرية الرازحة تحت نير الاستعمار الفرنسي - سنة ١٩٥٦ م. ثم أعادت طباعتها سنة ١٩٦٢ م. ثم شارك في ثورة اليمن ضد السلطان يحيى حميد الدين سنة ١٩٤٨ م. وحكم عليه بالإعدام مما اضطره للهرب إلى سوريا ولبنان^{٢٣٢}.

ومع حلول سنة ١٩٥٩ م قام الشيخ الفضيل بإنشاء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة. وعمل به ممثلاً للجمعية. وقد قام بعدها بالاتصال بقيادة دول المشرق العربي والإسلامي. بهدف استقبال الطلبة الجزائريين للدراسة فيها. فلبت دعوته الكثير من الدول، التي توافد عليها

الشبان المسلمين وجماعة عبد الرحمن .. ومع رجال الأدب والفكر والثقافة والفن .. ومع رجال السياسة ومن الرؤساء والمقادرة والزعماء، ومع رجال الإصلاح الإسلامي .

- ١١ - رحلاته الكثيرة في الشرق والغرب.
- ١٢ - انتماؤه لجماعة الإخوان المسلمين وتبنته منصباً دعوياً وقيادياً وإرشادياً فيها.
- ١٣ - سرعة بديهته، وقوة حافظته، وبيان عارضته، وذراية لسانه، وبلاهة خطبه وبيانه .
- ١٤ - عظيم إخلاصه وتضحيته وتفانيه في سبيل خدمة أمته ودينه ولغته وتاريخه العربي الإسلامي .
- ١٥ - نشاطاته السياسية المتعددة المحلية والإقليمية والعربية والعالمية وغشيانه النوادي والمجامع والمحاكم خطيباً وداعياً .

نشاطه الدعوي والإصلاحي :

وبعد أن أمضى سنوات يدرس على يد الشيخ عبد الحميد في قسنطينة. ألحقه بسلك المدرسين التابعين لمدارس جمعية التربية والتعليم. وعهد له الشيخ سنة ١٩٣٢ م بمتابعة ومراقبة وإخراج وطبع مجلـة (الشهاب). وظل كذلك إلى أن كلفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمهمة الوعظ والإرشاد وهداية المهاجرين الجزائريين في فرنسا خاصة وأوروبا عامة. فهاجر متذوباً من قبل الجمعية إلى فرنسا سنة ١٩٣٦ م. وظل بها أربع سنوات يدعو إلى الإسلام ولغة العربية بين صفوف المهاجرين. ويستحوذ همّهم على الاستقلال عن فرنسا. فخشيت الإدارة الاستعمارية من نشاطاته الدعوية والدينية فقررت الخلاص منه. ولكنه استغل أحـدـاثـ الـحـربـ العـالـمـيـةـ الثـانـيـةـ

٢ - المرحلة الثانية ١٩٣٦-١٩٤٢ م:

وهي المرحلة التي تبدأ بانتقاله إلى فرنسا ونشر الدعوة والتوعية في صفوف العمال المهاجرين فيها. وتنتهي أثناء الحرب العالمية الثانية و Herb به إلى تركيا ثم إلى مصر.

٣ - المرحلة الثالثة ١٩٤٢-١٩٤٩ م:

وهي المرحلة التي التحق فيها بالقاهرة وانضم إلى الجامع الأزهر لمتابعة دروسه العلمية وتحصيله في نهاية المطاف على شهادة العالمية في الشريعة وأصول الدين سنة ١٩٤٩ م.

٤ - المرحلة الرابعة ١٩٤٩-١٩٥٩ م :

وهي المرحلة التي تبدأ مع تأسيسه لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م بتكليف من الجمعية. وإنخراته في العديد من الجمعيات والمنظمات السياسية والاجتماعية والدعوية، وقيامه بالعديد من الرحلات التبشيرية لمستقبل الجزائر وقضيتها العادلة إلى حين وفاته.

نشاطه السياسي :

اضطلع الشيخ الفضيل الورتيلاني بنشاط سياسي ملفت للانتباه. ولم تكتمل مناسبة سياسية عربية وإسلامية، إلا وكان له توقيع المشاركة فيها. فعندما أمضت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا سنة ١٩٥٤ م سارع إلى تأكيد موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها. وما جاء في البرقية المرسلة إلى مكتب رئاسة الجمهورية المصرية بتواقيعه والشيخ البشير الإبراهيمي قوله: ((إن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة، ليسره أن يبعث إلى سعادتكم بالتهنئة الحارة، على إرسائكم الحجر الأساسي لتحرير

طلاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإتمام دراستهم العليا فيها)).^(١٧١)

ثم انضم إلى صفوف الثورة التحريرية من أول يوم. وقدّم هو والشيخ البشير الإبراهيمي بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مصر المؤيد والمناصر للثورة التحريرية. وقدّم الكثير من أجل التعريف ونصرة القضية الجزائرية. كما أكثر من الترحال في سبيل الجزائر، إلى أن انتقل إلى تركيا ممثلاً للثورة الجزائرية فيها. وقد استطاع أن يبدل الموقف الرسمي والشعبي التركي فيها ليصبح مؤيداً للقضية الجزائرية العادلة.^(١٧٢)

وقد اشتهر بعذوبة لسانه وخطبه الرنانة ولاسيما خطبه السياسية منها. وكان عنيفاً في خطبه ومقالاته وحواراته، ونارياً في مهاجمة الطغاة والمستعمرين، وقاتلًا في الإغارة على أعوازهم وخدمتهم وأذيالهم الكثريين يومها في العالمين العربي والإسلامي وفي الجزائر خاصة. كما كان مندفعاً فيما يدعو إليه، ومحتمساً فيما يعمل من أجله. وقد ترك لنا كتابه الشهير [الجزائر الثائرة] المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٦ م والذي أعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٣ م، وقد ضم بعضًا من مقالاته المنشورة في الصحف العربية والجزائرية.^(١٧٣)

وعليه يمكن تقسيم مراحل نشاطه الدعوي والإصلاحي إلى المراحل التالية :

١ - المرحلة الأولى ١٩٣٦-١٩٢٨ م:

وهي المرحلة التي بدأت منذ التحاقه بالشيخ عبد الحميد بن باديس طالباً للعلم في حلقاته العلمية العاملة بالجامع الأخضر بقدسية وتنبيه بتكليف الشيخ له بالعناية والاهتمام بشؤون الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا.

١٩٥٤ م سارع إلى إرسال برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يستعطفه فيها للتبرغ لمنكوبى الجزائر. ومذكرا إياه بحالة التعليم السيئة في الجزائر. فبادر الرئيس جمال عبد الناصر بالرد عليه، وبتخصيص مبلغ عشرة آلاف جنيه لمساعدة منكوبى الأصنام^(٣).

كما كانت له علاقات وطيدة مع زعماء العالم وأحراره. فقد قابل مرد الزعيم الهندي [جوامر لا نهرو]. والزعيم الباكستاني محمد علي جناح. والزعيم الأندونيسى أحمد سوكارنو]. وزعيم الجماعة الإسلامية السيد أبو الأعلى المودودي. ومع زعيم مسلمي الهند الشيخ أبو الحسن الرابع التندوى. وغيرهم من الزعماء السياسيين والدينيين.

منهجه ووسائله الدعوية والإصلاحية:

تنوّعت أساليب الشيخ الفضيل الورتيلاني الدعوية والإصلاحية والتربوية والتغييرية. بحيث لم يترك وسيلة ناجعة يستطيع أن يصل بها رسالته التوعوية إلا واستثمرها أياً استثمار. ويمكن حصر وسائله وأساليبه الدعوية والإصلاحية في الوسائل التالية:

- ١ - التربية والتعليم والتدريس في المدارس .
- ٢ - الخطب والدروس الدينية والمواعظ المسجدية .
- ٣ - الانخراط وتأسيس الجمعيات الوطنية والمحلية والعربية والإسلامية العالمية .
- ٤ - الكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية والجزائرية .
- ٥ - حضور المؤتمرات والندوات والجمعيات الخاصة وال العامة .

مصر من المعديين الفاصلين. وإن اعتقادنا في همّتكم وعزيمتكم واسع أفقكم. مع ما يتجدد في كل مناسبة من أقوالكم المتحدة. ذات الطابع العسكري البسيط. كل ذلك يجعلنا نأمل كل الأمل في أن يكون تحرير مصر على أيديكم وأيدي زملائكم الكرام. إنما هو بداية لتحرير جميع العرب وجميع المسلمين. وطريق معد لجمع كلمتهم على الحق والخير. ليعيدوا تاريخ أسلافهم الأبرار. في إسعاد الإنسانية جمّعاً .

وإن خير ما ذكرتم به هو ما ذكرتم به نفسكم والناس. ذلك في كلمتكم الرزينة للمواطنين حين قلتم: "إن مرحلة من كفاحنا قد انتهت. ومرحلة جديدة على وشك أن تبدأ. هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا. وتعالوا نبني وطننا من جديد. بالحب والتسامح والفهم المتبادل".

وإن خير ما ندعوه لكم به في هذه المناسبة هو نفس ما دعوتم به أنتم "اللهم أعملنا المعرفة الحقة. كي لا يستخفنا النصر وتدور رؤوسنا غروراً مع نشوته". إلى آخر ذلك الدعاء العي الملازي. نسأل الله أن يستجيب لكم. وأن يسدّد خطاكـم. وأن يديم توفيقكم في خدمة العروبة والإسلام. والسلام .

عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة: [محمد البشير الإبراهيمي. الفضيل الورتيلاني]^(٤).

كما أصدر بالقاهرة رفقة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بيان الجمعية التاريخي المندد بسياسة موقف فرنسا الاستعمارية. والمزيد للثورة التحريرية منذ انطلاقتها الأولى.

وعندما حلّ الزلزال الكبير بمدينة [الأصنام - الشلف حالياً] الجزائرية شهر سبتمبر سنة

تحرير الجزائر التي أنشئت بلبنان في الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٠م، إلى أن أصبح ممثلاً لمكتب جبهة التحرير الوطني بتركيا سنة ١٩٥٨م^{١٣٣}.

وكان الشيخ الفضيل الورتيلاني قد اتهم بمشاركته في ثورة اليمن التي قتل فيها الإمام يحيى حميد الدين، ولكن تأكيدت براءته من المشاركة في الثورة. وتبين أن الشيخ الفضيل تواجد في اليمن ساعة قيام الثورة فعفى عنه ابنه بقرار ملكي^{١٣٤}.

٢ - الصحافة :

كتب الشيخ الفضيل الورتيلاني المئات من المقالات والرسائل والبرقيات والخواطر الشائرة، في سبيل نصرة القضية الجزائرية العادلة الرازحة تحت نير الاستعمار والعبودية. في الصحف الجزائرية والعربية والإسلامية. ولم تشغله قضية وطنه المفترض فحسب، بل كتب في كل شؤون الوطن العربي والإسلامي الكبير الكثير من المقالات. وقد احتلت قضية فلسطين مساحة بارزة في كتاباته، ولعل تسلیطنا الضوء على مقال له سنة ١٩٥٤م، جاء في صيغة نداء وندبة وتحسر تحت عنوان [هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين - أتقذوا الممكن منها قبل نزول الغضب].
يبين لنا مكانتها لديه. وقد كتبه بعد أن كلفه المؤتمر الإسلامي العام بزيارة الأماكن المقدسة ومعايشة الفلسطينيين عن كثب لمدة ثلاثة شهور.
ومما جاء في مقاله القيم قوله: ((.. أيها العرب، أيها المسلمون، إليكم أسوق الكلام مرة أخرى عن فلسطين، وأنا أعلم أنكم قد ملتم الكلام عن فلسطين، لأنكم أفتتموه من عشرات السنين، حتى ما بقي ضرب من ضروب البيان في النظم والنشر، إلا وقد مر على أسماعكم يحمل اسم فلسطين، وમأساة فلسطين، وكارثة فلسطين، والدعوة إلى

٦ - ربط الصلة بالشرق العربي لغة وروحًا . وافتقاء .

٧ - إحياء قيم وماضي وتاريخ وأمجاد الجزائر في نفوس الشعب الجزائري .

٨ - محاربة الطرقية والبدعية. وكل أشكال الغرافة .

٩ - مقابلة الملوك والقادة والرؤساء، العرب والمسلمين وزعماء أحرار العالم .

١٠ - الرحلات الإصلاحية الكثيفة في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه .

وبهذه الوسائل والأساليب والطرق المتنوعة استطاع الشيخ الفضيل الورتيلاني - يرحمه الله - أن يدعوا قضية الجزائر العادلة. ويبشر لمستقبل الجزائر المشرق .. ولعلنا نلتقي بعض الأضواء على أهم وسائله الإصلاحية وهي :

١ - العمل السياسي :

وقد تجلت نشاطاته السياسية في انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين. وجمعية الشبان المسلمين بمصر. وجماعة عباد الرحمن ببيروت. وفي رئاسته لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة من سنة ١٩٥٢-١٩٤٩م قبل التحاق الشيخ بشير الإبراهيمي بها. وفي عضويته الدائمة بمكتب المغرب العربي برفقة الشيخ [علال الفاسي] والمجاهد المغربي الكبير الشيخ [عبد الكريم الخطابي ت ١٩٧٢م] والشيخ [الشاذلي المكي التبسي الجزائري ت ١٩٨٨م].
وهي عضويته للجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي تأسست بالقاهرة سنة ١٩٤٢م، وعضويته في جمعية الجالية الجزائرية. وجبهة الدفاع عن شمال أفريقيا التي أنشئت بمصر سنة ١٩٤٤م. وفي جبهة

التضحيه بالمال والأنفس في سبيل فلسطين. وإلى غير ذلك من صرائح وبكاء وعويل على فلسطين. على أننا يوم كنا نهلاً النضا، بتلك المصيحات من الأقوال مزهويـن كان اليهود يملؤونها بالأفعال صامتين متواضعين. فكان القرآن الذي حكم بأشد المقت على الذين يقولون ما لا يفعلون. والذي جعل دليـلـ صدق إيمان المؤمنين. الاستعداد بكل شيء، ولكل شيء. كان هذا القرآن الكريم إنما أنزل باللغة العبرية. وعلىبني إسرائيل. ولم ينزل باللغة العربية. وعلىبني عدنان والمسلمين.

أما الذي أريد أن أفت إليه الأنـظـار في هذه الكلمة المتواضـعةـ. فأعتقد أنه خطير جداً. أو أعتقد أن مفـزـاهـ جـديـدـ علىـ كـثـيرـ منـ العـربـ وـالـمـسـلـمـينـ. وـيـنـحـصـرـ هـذـاـ الجـديـدـ فيـ أـمـورـ بـلـوـتـهـاـ بـنـفـسـيـ. وـمـنـ وقتـ قـرـيبـ لمـ يـتـغـيرـ بـعـدـهاـ شـيـءـ ذـوـ أـهمـيـةـ.

كان المؤتمر الإسلامي العام قد كلفني بدراسته أحـوالـ الـلاـجـئـينـ. وـدـرـاسـةـ أحـوالـ الـمـرـابـطـينـ فيـ القرـىـ الـأـمـامـيـةـ. فـاستـجـبـتـ لـرـغـبـتـهـمـ وـقـضـيـتـ زـهـاءـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ فيـ ذـلـكـ الجـوـ الرـهـيـبـ. تـعرـفـتـ فـيـهـ عـلـىـ مـاـ فـيـ النـفـوسـ وـعـلـىـ مـاـ فـيـ الـعـقـولـ. ثـمـ عـرـفـتـ طـبـيـعـةـ الـأـرـضـ الـبـاقـيـةـ فيـ أـيـديـ الـعـربـ وـعـرـفـتـ خـطـورـتـهـاـ وـأـهـمـيـةـ الـاحـتـاطـ بـهـاـ. ثـمـ خـرـجـتـ بـحـقـائـقـ فـيـ الـأـفـاقـ وـفـيـ الـأـنـفـسـ. أـعـتـقـدـ أـنـهـاـ خـطـيرـةـ جـداـ. وـيـجـبـ أـنـ يـعـلـمـهـاـ كـلـ مـنـ يـهـمـهـ أـمـرـ هـذـاـ الـبـقـعـةـ الـمـقـدـسـةـ الـتـيـ دـفـقـتـ فـيـهـ كـرـامـةـ الـعـربـ وـالـمـسـلـمـينـ.

الحقيقة الأولى في الأنـفـسـ: وـتـمـتـلـ فيـ تلكـ الـمـعـنـوـيـاتـ الـجـبـارـةـ التـيـ ماـ يـزالـ الـإـخـوانـ الـفـلـسـطـيـنـيـوـنـ رـغـمـ عـظـمـ الـمـحـنةـ يـتـمـتـعـونـ بـهـاـ. وـإـنـهـاـ لـثـرـوـةـ نـادـرـةـ عـنـ أـنـ تـوـجـدـ أـوـ تـبـقـىـ طـوـبـلاـ فـيـ مجـتمـعـ قـدـ اـبـتـلـيـ باـشـنـعـ كـارـثـةـ عـرـفـهـاـ تـارـيخـ الـإـنـسـانـيـةـ الـمـهـذـبـةـ. لـقـدـ أـدـرـكـ بـنـفـسـيـ عـظـمـةـ تـلـكـ الـمـعـنـوـيـاتـ.

وـأـدـرـكـتـهـاـ عنـ اختـبارـ وـاسـعـ وـمـقـصـودـ. وـجـدتـ مـثـاثـ الآـلـافـ منـ الـلاـجـئـينـ. وـفـيـهـمـ منـ كـانـ يـسـكـنـ الـقـصـورـ وـيـقـومـ عـلـىـ خـدـمـتـهـ الـخـدـمـ وـالـحـشـمـ. وـجـدتـهـمـ يـسـكـنـوـنـ فـيـ مـعـسـكـرـاتـ مـوـحـشـةـ. رـبـماـ كـانـ بـعـضـهـمـ أـيـامـ العـزـ يـسـتـنـكـفـ أـنـ يـجـعـلـهـاـ حـظـائـرـ الـحـيـوانـاتـ. وـرـأـيـتـ سـيـدـاتـ معـ بـنـائـهـنـ كـالـبـدـورـ. رـبـماـ كـنـ حـتـىـ الـأـمـسـ الـقـرـيبـ فـيـ بـيـوـتـهـنـ أـشـيـاءـ الـمـلـكـاتـ. رـأـيـهـنـ عـلـىـ شـكـلـ طـوـابـيرـ يـنـتـظـرـونـ السـاعـاتـ الطـوـالـ أـمـامـ مـكـتبـ يـدـيـرـهـ أـعـدـاءـ الـعـربـ وـالـفـلـسـطـيـنـيـيـنـ. يـنـتـظـرـنـ بـضـعـةـ أـرـطـالـ مـنـ الدـقـيقـ الـمـخـلـوطـ. تـسـلـمـهـ لـهـنـ مـحـسـنـةـ مـنـ مـحـسـنـاتـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ. يـسـمـونـهـاـ وـكـانـةـ الغـوثـ.. إـنـمـاـ يـطـلـبـونـ فـيـ حـمـاسـ وـالـحـاجـ إـعـادـهـمـ لـلـجـهـادـ فـقـطـ. يـطـلـبـونـ سـلـاحـاـ. وـيـطـلـبـونـ ذـخـيرـةـ. وـهـمـ يـقـنـعـونـ بـعـدـ ذـلـكـ بـأـحـدـيـ الـحـسـنـيـيـنـ. إـمـاـ نـصـرـ عـلـىـ الـأـعـدـاءـ أـوـ شـهـادـةـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ.

وـالـحـقـيـقـةـ الـثـانـيـةـ مـتـعـلـقـةـ بـالـأـفـاقـ. أـوـ بـأـرـضـ فـلـسـطـيـنـ الـبـاقـيـةـ فـيـ أـيـديـ الـعـربـ. هـذـهـ الـبـقـعـةـ الـمـقـدـسـةـ يـجـبـ أـنـ يـعـمـلـ الـعـربـ لـأـهـمـيـتـهـاـ أـلـفـ حـسـابـ.. وـبـنـاءـ عـلـىـ هـذـاـ فـيـانـيـ أـعـتـقـدـ أـنـ الـيـهـودـ يـبـيـتـونـ نـيـةـ الـاعـتـداءـ حـتـىـ عـلـىـ هـذـهـ الـبـقـعـةـ الـخـطـيرـةـ. وـأـنـهـمـ مـصـمـمـوـنـ عـلـىـ اـحـتـالـلـهـاـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـأـمـرـ الـوـاقـعـ الـذـيـ جـرـبـوهـ مـرـارـاـ فـنـجـعـ.. وـبـعـدـ فـانـنـاـ نـسـطـطـعـ أـنـ نـخـلـصـ مـنـ هـذـاـ الـاـسـتـعـراـضـ إـلـىـ الـخـلاـصـةـ الـأـقـيـةـ. بـيـدـنـاـ حـتـىـ الـآنـ قـوـتـانـ لـاـسـتـرـادـ فـلـسـطـيـنـ: الـأـولـىـ مـعـنـوـيـاتـ أـهـلـهـاـ. وـالـثـانـيـةـ هـيـ الـأـرـضـ الـبـاقـيـةـ التـيـ لـاـ تـزـالـ بـيـنـ أـيـديـهـمـ. فـإـذـاـ لـمـ تـنـجـحـ فـيـ الـمـحـافـظـةـ عـلـيـهـاـ. فـإـنـ الـطـمـعـ فـيـ اـسـتـرـادـ فـلـسـطـيـنـ قـبـلـ قـرـونـ يـصـبـ ضـرـباـ مـنـ الـخـرـافـةـ. وـيـجـبـ أـنـ يـعـلـمـ الـمـسـؤـلـوـنـ أـنـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ غـيـرـ الـفـلـسـطـيـنـيـيـنـ لـخـوـضـ غـمـارـ الـمـعـرـكـةـ فـيـ الـجـوـلـةـ الـثـانـيـةـ. يـنـطـوـيـ عـلـىـ شـيـءـ كـثـيرـ مـنـ الـخـيـالـ وـسـوـهـ الـقـدـيرـ. لـأـنـ الـفـرقـ بـيـنـ مـعـنـوـيـاتـ الـفـلـسـطـيـنـيـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ بـالـذـاتـ وـبـيـنـ غـيـرـهـ. وـلـوـ

من الكويت وال السعودية و ايران والبحرين وباكستان والهند وبورما والملايو و سنغافورة واندونيسيا . وفي إندونيسيا حضر العديد من المؤتمرات واللقاءات السياسية والدينية^(١٢) .

ولعلنا نقدم تعطيلية جريدة البصائر لرحلته الشهيرتين اللتين قام بهما إلى الهند وإندونيسيا، ومما جاء في تلك التعطيلية الصحفية تحت عنوان: [بريد الشرق] المراسلة التالية: ((تقينا من الأستاذ خليل أبو الخدود مدير مكتب وكالة إندونيسيا في بيروت هذه الأخبار الهامة الثلاثة. فنشرناها شاكرين رغم تأخر زرودها إلينا:

- دلهي - لمراسل وكالة أنباء إندونيسيا للنشر العربي.

وصل إلى عاصمة الهند الرحالـة الإسلامية الكبير الأستاذ الفضـيل الورـتيلـاني الزـعيم المـغرـبـي الشـهـيرـ. وفي يوم وصولـهـ إلى دـلهـيـ قـابـلـ نـائـبـ رـئـيسـ الـوزـراءـ. لأنـ المـسـتـرـ نـهـرـوـ كانـ متـفـيـباـ فيـ رـحلـةـ دـاخـلـيةـ. وـقـابـلـ وزـيرـ الـمعـارـفـ مـولـاناـ أبوـ الـكـلامـ أـذـادـ، وـقـدـ دـارـ الـحـدـيثـ حولـ قضـيـةـ شـمـالـ أـفـرـيـقيـاـ عمـومـاـ وـقضـيـةـ تـونـسـيـةـ وـمـغـرـبـيـةـ خـصـوصـاـ. وـتعـهـدـ المسـؤـلـونـ الـهـنـدـيـوـنـ بـالـوـقـوفـ فيـ صـفـ القـضـيـةـ الـعـرـبـيـةـ الـعـادـلـةـ. ثـمـ عـقـدـ نـدوـةـ صـحـفـيـةـ معـ مـرـاسـلـيـ وـكـالـاتـ الـأـنـبـاءـ الـعـالـمـيـةـ وـالـمحـلـيـةـ. ثـمـ اـسـتـمـرـ فيـ رـحلـةـ فـزـارـ كـلـكـتاـ. وـمـنـهـ اـتـجـهـ إـلـىـ باـكـسـتـانـ الشـرـقـيـةـ))^(١٣).

كـماـ وـافـىـ مـرـاسـلـ وـكـالـاتـ الـأـنـبـاءـ إـنـدونـيسـياـ بـخـبرـ وـصـولـ الزـعـيمـ الـمـغـرـبـيـ الرـحالـةـ الشـيـخـ الفـضـيلـ الـورـتـيلـانيـ إـلـىـ جـاـكـرـتاـ. وـمـاـ جـاءـ فـيـهاـ: ((.. وـصـلـ إـلـىـ إـنـدونـيسـياـ الزـعـيمـ الـإـسـلـامـيـ الـكـبـيرـ الأـسـتـاذـ الفـضـيلـ الـورـتـيلـانيـ مـنـدـوـبـاـ عنـ مـؤـتمرـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ. وـعـنـ مـؤـتمرـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ

كانـ ذـلـكـ الغـيـرـ عـرـبـيـاـ. كـالـفـرقـ بـيـنـ النـادـبـةـ وـالـثـكـلـ. ثـمـ إـنـ الـفـلـسـطـيـنـيـ أـخـبـرـ النـاسـ بـطـبـيـعـةـ بـلـادـهـ. فـلـقـدـ يـسـطـعـ الـمـائـةـ مـنـهـ بـفـضـلـ الـخـبـرـ أـنـ يـفـعـلـواـ مـاـ لـاـ يـسـطـعـ أـنـ يـفـعـلـهـ جـيـشـ قـائـمـ بـذـاتهـ. وـيـكـفـيـ أـنـ يـعـلـمـ الـعـرـبـ الـيـوـمـ أـنـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ يـسـطـعـونـ أـنـ يـسـرـحـواـ وـيـمـرـحـواـ فـيـ دـاخـلـ إـسـرـائـيلـ وـفـيـ قـلـ أـيـبـ وـيـافـاـ وـحـيـفـاـ بـالـذـاتـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـخـشـواـ أـدـنـىـ أـذـىـ مـنـ الـيـهـودـ. بـلـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـكـونـ لـلـيـهـودـ أـدـنـىـ عـلـمـ بـتـقـنـلـاتـهـ وـتـصـرـفـاتـهـ. وـلـوـ أـنـ الـحـكـمـ تـجـيزـ أـنـ أـتـوـسـعـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ لـضـرـبـ عـشـرـاتـ الـأـمـلـةـ عـنـ صـنـيـعـ أـولـئـكـ الـمـجـاهـدـيـنـ الـمـغـامـرـيـنـ .

وـبـعـدـ هـيـاـ أـيـهـاـ الـعـرـبـ وـيـاـ أـيـهـاـ الـمـسـلـمـونـ: إـنـ الـفـرـصـةـ لـاـ تـرـازـ قـاتـمـةـ وـفـيـ اـسـتـطـاعـتـكـمـ أـنـ تـوهـنـواـ عـظـمـ الـيـهـودـ تـمـهـيدـاـ لـإـيقـافـ ظـلـمـهـمـ. ثـمـ الـقـضـاءـ عـلـىـ رـوحـ الـجـشـعـ وـالـاعـدـاءـ فـيـهـمـ. وـإـنـ لـمـ يـفـعـلـواـ فـيـوـشـكـ أـنـ يـنـزـلـ اللـهـ عـقـابـهـ. ثـمـ لـاـ يـصـبـيـنـ الـذـينـ ظـلـمـواـ مـنـكـمـ خـاصـةـ . - الفـضـيلـ الـورـتـيلـانيـ -))^(١٤).

وـالـمـحـلـ لـهـذـاـ الـمـقـالـ يـتـبـيـنـ مـنـهـ الـكـثـيرـ مـنـ الرـؤـىـ السـيـاسـيـةـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ الصـاتـبـةـ فـيـ فـكـرـ الشـيـخـ الفـضـيلـ يـرـحـمـهـ اللـهـ. مـنـ أـهـمـهـ. تـبـيـهـهـ إـلـىـ أـهـمـيـةـ اـضـطـلـاعـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ بـعـبـهـ الـعـمـلـ الـجـهـادـيـ. وـتـبـيـهـهـ إـلـىـ أـهـمـيـةـ الـحـفـاظـ عـلـىـ الـجـزـءـ الـمـتـبـقـيـ مـنـ الـأـرـاضـيـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ. وـأـهـمـيـةـ مـقاـوـمـةـ الـعـدـوـ الـصـهـيـونـيـ مـنـ الدـاخـلـ .

٣ - الرـحـلـاتـ :

قامـ الشـيـخـ بـرـحـلـاتـ عـدـيدـ شـمـلتـ الـعـدـيدـ مـنـ الـدـوـلـ. بـدـأـهـاـ مـنـ أـورـبـاـ سـنـةـ ١٩٢٦ـ مـ. ثـمـ زـارـ كـلـاـ مـنـ سـوـرـيـةـ وـتـرـكـيـاـ وـلـبـنـانـ وـالـيـونـانـ وـإـيـطـالـيـاـ وـسوـيـسـراـ وـلـكـسـمـبـورـغـ وـبـلـجـيـكـاـ وـهـولـنـداـ وـانـكـلـتـرـاـ وـإـيـرـلـانـدـاـ وـاسـبـانـيـاـ وـالـبـرـتـغـالـ وـالـمـغـرـبـ. ثـمـ عـادـ إـلـىـ بـيـرـوـتـ وـاستـأـنـفـ رـحـلـاتـهـ بـاتـجـاهـ الـشـرـقـ فـزـارـ كـلـاـ

القارئ الاستفادة من آرائه وأحكامه أنه لم يدونها خصوصاً في هذه الحقبة التي اختل فيها استقراره وامتنع بها بما يمتنع به الآخران. وقد وقفت بحكم العلاقات الوثيقة بيني وبينه على عدة آراء له مدونة في قضايا العرب الخاصة وقضايا المسلمين العامة. أصاب في معظمها. وقرطس وربط المعلولات بعلتها. وكشف عن خبايا لا يتأتى الكشف عنها. إلا للأقل من القليل من رجالنا. فالحاجت عليه أن ينشرها على الناس. مع توسيع في بعضها بالشرح والتحليل مادام للتاريخ عند كل مفكر ذمام. وقد وعد بنشر ما تسمح به الظروف العامة بنسريه ويسمح له وقته الخاص بإعادة النظر فيه. وتقويم كل أسلوبه. أما مذكراته في الأحداث العربية فهو يتربص بها ساحل الأمان واعتدار الزمان...).

المنعقدين في كراتشي عاصمة باكستان موقداً من قبل الهيئات السياسية في المغرب العربي، وإنقى فور وصوله إلى جاكرتا محاضرة قيمة نقلت بالإذاعة. ثم توالى عليه الدعوات فسافر إلى جزيرة سومطرة لحضور مؤتمر نهضة العلماء. وخطب فيه ثلاثة أيام متالية. كان خطبه في المؤتمر دويًّا عظيم. واستطاع بلباقةه وقوته منطقه وصادق إخلاصه أن يترب ووجهات النظر بين أركان حزب ماشومي الكبير الذي شاع سوء التفاهم بين صفوفه في الأيام الأخيرة. ثم دعى إلى أنحاء إندونيسيا فتام بجولة بربوعها كان لها أعظم الأثر. وكانت الإذاعات والصحف تنقل دائمًا أخباره. وقد اجتمع برئيس الجمهورية أكثر من مرة. وبرئيس الوزراء والوزراء. وكان محل حفاوة لهم وآكرامهم جميعاً...).

مؤلفاته :

والظاهرة التي تميز علماء القطر الجزائري عن غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية عموماً. والمغاربية خصوصاً قلة التصنيف والكتابة والتأليف. وتفضيلهم العمل الميداني الإحيائي في البيئة والواقع الاجتماعي. على العكس من غيرهم من العلماء الذين يكثرون من التصانيف كل حسب قدرته وطاقته وعمره وفنه.

ويعد سبب تواضع إنتاجهم النظري لعامل دعويٍّ مهمٍّ انطلقاً منه بوعيٍّ واصرارٍ متميزة ولا سيما خلال الفترة الاستعمارية البغيضة للجزائر ١٩٤٥-١٩٦٢هـ/١٨٢٤-١٣٨٤م. حيث غابت على بيئتهم وفرد़هم ومجتمعهم عوامل التخلف والأمية والجهل والضياع. بسبب سياسة الاستعمار الهمجية التي سلطها عليهم. لمحو شخصيتهم. واغتيال هويتهم وجودهم وحاضرهم مستبلهم من

لم يترك الشيخ الفضيل الورتيلاني بعد وفاته المؤلفات والمصنفات بسبب انشغاله بالعمل الدعوي والإصلاحي وتأليف قلوب الرجال. بالرغم من ثراء تجربته. وما تركه سوى مقالاته. التي تطوعت جماعة عباد الرحمن بنشره سنة ١٩٥٦م. ثم أعادت طباعتها سنة ١٩٦٢م ببيروت. وقد حدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن مكانته العلمية والأدبية واللغوية والفنية والفكرية والثقافية لو أراد التأليف والكتابة والتصنيف. ولكن عرض علينا مشاريعه المستقبلية في التأليف. وكان رحمه الله ينتظر فرصة سانحة يستريح فيها ليدون فيها الكثير. ولكن المنية عاجله فمات دون أن يدون شيئاً. ومما جاء من كلام الشيخ البشير قوله: ((..ولكن الآفة التي أضاعت على الجمهوري

في العالجون في هذه الصحف قضايا وأمراض أمتهن. ويجبون على فتاوى عامة. وينبرون درب السالكين. ويردون على المستعمرات. ويصححون أخطاءهم على الدرب. ويتجهون بالنصائح والتوجيه لمن يتنكب الطريق.

اهماهه لصحته ووفاته :

لقد كان بالفعل مريضا برسالته. ومتغانيا في الاهتمام بها. وهي رسالة ضخمة تتوء بالعصبة أولى القوة. تبتدئ بوطنه الصغير الجزائر. والمغرب العربي. ثم ترتفق إلى العرب وإلى المسلمين. ثم إلى الإنسانية كافة. وهو في الاستجابة لطلباتها التي لا تنتهي. والتي لا يرحم نفسه منها. فقد يشتغل الليل موصولا بالنهار.. إلى أن هانت حيويته. وخارت قواه. وتراجعت فتوته. وأصيب بالعديد من الأمراض فأعاقت صحته. فلقد أصابه مرض الربو وضيق التنفس والسكري. نتيجة الإرهاق. وتوجب عليه العلاج والسفر إلى أوروبا لإجراء عملية جراحية. ولكن اندلاع ثورة الجزائر أنساه كل شيء. فظل في حركة دائمة حتى أسلم روحه لبارئها.

ولما استحكمت العلل فيه والأمراض نصحه بعض الإخوان بالسفر إلى أوروبا أو إلى تركيا للاستطباب فيها. وبحكم كونه كان ممثلا لجبهة التحرير الوطني الجزائرية بتركيا فقد اتجه إليها مباشرةً أواخر سنة ١٩٥٨م. ولكنه لم يكيد يبدأ العلاج فيها حتى حمل إلى المستشفى الكبير بأنترة وفيها توفي يوم ١٢ مارس ١٩٥٩م من ثقل الأمراض المزمنة التي استشرت في جسده المجاهد والتي كان يعاني منها. وبها دفن. ثم نقلت رفاته إلى الجزائر يوم ١٢ مارس ١٩٨٧م.^(١)

الخارطة العالمية. الأمر الذي استدعى حضورهم الدؤوب في الانفس والواقع والوجود. ولبعيدوا بذلك الحضور الشهودي في المساجد والمدارس والنوادي والأماكن الخاصة وال العامة إلى الشعب الجزائري الضائع قسماته وخصائصه الدارسة. وبسبب القيود التمعنية والقانونية التي كانت الإدارة الاستعمارية تفرضها على العرف العربي المطبوع والمكتوب. ولو لا حضورهم المستمر في المساجد وتلاوة القرآن بشكل دوري كل يوم بعد الصلوات وبشكل جماعي وفردي. وتدريسهم لعامة الناس. وعبر الحلقات العلمية المتخصصة لانهش الإسلام من الجزائر بعد قرن من الاحتلال.

وانطلاقا من هذا التشخيص الواقعي لأمراض أمتهن تحتم عليهم التركيز على محاربة مظاهر وأسباب التخلف والجهل والأمية والضياع. وذلك بفتح الكتاتيب القرآنية. والمدارس العربية الحرة. والنوادي الثقافية والأدبية والفنية والرياضية والكشفية. والمعاهد المتوسطة والعلائية. وبناء المساجد الحرة. وتقديم الدروس التوعوية العامة فيها للكبار. والدروس والحلقات العلمية المتخصصة للناشئة الصغار.

ولم يكونوا يكتبون إلا في الصحف والمجلات الخاصة بهم. أو التي تنتشر في العالم العربي والإسلامي. كصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [الشريعة. السنة. الصراط. الشهاب. البصائر]. أو بعض الصحف المستقلة ك[النجاح الجزائرية] الصادرة بقسنطينة سنة ١٩١٩م والتي توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٦م. و[الشعلة ١٩٤٧-١٩٤٩م]. و[المغرب العربي ١٩٤٨-١٩٤٧م]. أو بعض الصحف والمجلات العربية والإسلامية^(٢).

مميزات شخصيته :

وهو يحسن التأليف بينها. ويلبس كل واحدة لبسها. ويبهرها في زمانها ومكانها فلا تتناقض ولا تتعاند. ولكن أينها سمة هي النزعة الإسلامية. فهي التي تستبد بمعظم تفكيره. ثم تأتي النزعة العربية. فله في كل قضية من قضايا المسلمين رأي. وله في كل حدث من أحداث العرب حكم. وله في كل جو من أجواء زمانه متنفس...)^{١٣١}.

وقد وصفه الأستاذ الشيخ رفيق سنو مدير الشؤون الاجتماعية لجماعة عباد الرحمن وهو يضع خاتمة أثاره (الجزائر الثانية) فقال: ((..الفضيل الورتيلاني. نشأ نشأة الصبا والعداوة في أحضان الفطرة الطاهرة. وفي أحضان الجبال الشماء، فاكتسب من الأولى قوة الروح، وصفاء العقيدة، والصلابة في الدين. ومن الثانية قوة الجسم وروثاقة التركيب. وسلامة الحواس. ثم نشأ نشأة الشباب في أحضان جمعية العلماء. ففتح عينه على الميادين العامرة بآبطالها. وفتح أذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح. من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم النبوية. ومحاضرات بلغة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. تفيس بالبيان الساحر. وتتدفق بالبلاغة الساحرة. فنشأ مؤمناً متين العقيدة. حراً عميق الفكر. صريحاً لاذع الصراحة. جريء اللسان في كلمة الحق. شجاع الرأي إذا جمعت الآراء وتوخافت. غيوراً على وطنه غيرته على دينه. إذن فهو معدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر. رافقها في جميع مراحلها وشارك - على فتوته - الشيوخ المحنكين في بنائها .

لازم الشيخ عبد الحميد بن باديس سنوات. فتأثر بمنازعه الخطابية. موافقه في حرب الضلال. وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان الناهي.

تميزت شخصية الشيخ الفضيل الورتيلاني بين دعاء ومصلحي عصره بالكثير من الفرائد والقيم والأخلاق والسلوكيات المثالية. ولعل وصف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي له خير دليل. وخير شاهد على قيمة ومكانة وتميز هذه الشخصية. ومما جاء فيها قوله:

((.. والأستاذ الورتيلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء. وغصن من دوحتها الفينانة. فتح عينيه على شعاعها. وسار في الحياة من أول خطوة على هداها. وقضى عنفوان شبابه في أحضانها. وتخرج في العلم والعمل على فادتها. ويز الجياد القرح في ميادينها. ورمى الغايات البعيدة بتسديدها. وزارض عقله على التفكير الصائب. ولسانه على الحديث الصادق. في الإصلاح الديني الذي هو أساس مبادتها. فجذبه استعداده القوي منه إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي. وجرته غيرته المحتمدة على وطنه إلى العمل للإصلاح السياسي. وهذه أنواع من الإصلاح مشابكة الأصول. مشابهة الفروع. تتصل بينها فواصل اعتبارية دقيقة. ولكن الأجراء العتمدين يرونها متلازمة. متوقناً بعضها على بعضها. فلا يتم جزء منها إلا بتمام جميعها. ومن هؤلاء ولدنا الفضيل. فلما ضاق عنده وطنه الأصفر. طار إلى وطنه الأكبر...)^{١٣٢}.

وقد وصف نزعاته البارزة الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله :

((.. والأستاذ الورتيلاني إنساني النزعة. ثم إسلاميها. ثم عربتها. ثم جزائرتها. تتزوج هذه النزعات في نفسه من غير أن تتفاير ولا تتصارب.

هاجر إلى مصر مستزيداً من العلم والتجارب، مستجعاً قوته للعمل في ميدان أوسع وجوه أصفى، وكانت له المواقف المشهودة، والرحلات الموفقة إلى الأقطار العربية..))^(٢٣).

تأثيراته الإصلاحية :

وصف الأستاذ العزوم محمد المنصوري الغسيري نشاطات الشيخ الفضيل في مصر عندما زارها، وعدد تأثيراته الإصلاحية بقوله: ((.. جاء الأستاذ الرئيس إلى الشرق العربي الإسلامي فجال جولات موقعة واتصل بولاية أمور البلاد فوجه وأرشد ولفتهم إلى وجوب تقديم المساعدة لأبناء عمومتهم في الجزائر عن طريق التربية والتعليم، فاستجابوا حفظهم الله وجزاهم عن الإسلام والعربية خيراً..))^(٢٤).

وقد كتب عن مجدهاته وتأثيراته تلميذه الشيخ محمد الأكحل شرفاء يصفها ويعدها، فقال: ((.. إن نفس الورتيلاني العظيم من تلك الفتنة الأولى الأصلية: تلك التي تشبه المعدن الذهبي، ذلك الذي يصهر بالنار، ولكنه يخرج منها المع ما يكون بريتا، وأنقى ما يكون من الشوائب، وهذا نفس ما حدث للفضيل، فلقد مرت عليه كما تمر على الأفذاذ العباقة، ظروف عابسة، حسبها الناس حجاباً صفيقاً بين ماضيه ومستقبله، ولكنها سرعان ما انتشت كما تنقض السحب الثقال عن وجه الشمس، فأشرف الورتيلاني من جديد على دنيا الإسلام والعروبة بالأضواء الكاشفة، فأثار طريق الكفاح من جديد، وفتح جبهة الجهاد من جديد، وتبوأ مركزه العظيم بين أساطين النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي..))^(٢٥).

وقد وصف تأثيراته الأستاذ الشيخ رفيق سنو

فأصبح فارس منابر، وحضر اجتماعات جمعية العلماء، الخاصة وال العامة، فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجرأة في النقد، والاحترام للمبادئ لا للأشخاص، ثم لابس السياسيين وغشى مجتمعاتهم، فرأى من زيف العقيدة وزيف الوطنية، وانحلال الأخلاق، نقىضر ما رأى من رجال جمعية العلماء، فثار عليهم ودهوا منه بياقة، وكان الأستاذ الرئيس يقدر له - وهو في الحданة - عوacb الرجال، ويتخيل فيه مخايل الأبطال، ويقول له كلما رأى منه مخيلة صدق : "لمثل هذا كنت أحسيك الحسا". ثم جاوز البحر سنة ١٩٣٦ م بموافقة من الأستاذ الرئيس ومني، ليبرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، وليرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضعاه الوسط من دين ولغة، وليزرع في قلوب الأبناء والأباء معاً حب الدين والجنس واللغة والوطن، وليعيد إلى الجزائر بذلك كله قلوباً تذكرت لها، وأفئدة هوت إلى غيرها، وغراساً أطماها الاستعمار في مغارسه فالتمست الري والنماء في غيرها، فتتبعهم الفضيل في مطارح اغترابهم، وجمع شملهم على الدين، وقتلواهم على التعارف والأخوة، وجمع أبناءهم على تعلم العربية، وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر نادياً، عمرها هو ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء بدورس التذكير للأباء والتعليم للأبناء، والمحاضرات الجامعية في الأخلاق والحياة، ونجح الفضيل في أعماله كلها، نجاحاً عاد على المسلمين في فرنسا بالخير والبركة، وعاد على جمعية العلماء بالسمعة العطرة والدعابة الطيبة، وكان في ذلك المدة كلها، متصل الأسباب بجمعية العلماء، مراسلة واستمداداً، وإشارة واستشارة، وقد رجع في أثنائها إلى الجزائر .. وفي أواخر سنة ١٩٣٨ م

هو ذلك المبرز في كل ميدان، المحترم من كل من ينشد الحق والاستفادة، وحضرته مع العوام والدراويش والأبيضيات الأطهار. فكان يفهم عنهم ويفهمون عنه، حتى لكانهم عاشوا في بيئة مشتركة، واصطلحوا على لغة واحدة. وفي ظني لو أن الرجل في مجموع مواهبه العظيمة قد كتب الله له الاستقرار في مجتمع واحد لمدة من الزمن كافية، لأمكن أن يخلق مجتمعاً مثالياً بحق. ولكن آماله الواسعة في خدمة الإنسانية عامة، وتشتت جهوده في كل مكان من الشرق والغرب، وتغلب الأحوال السياسية والدولية في الأماكن التي يبتدئ فيها عمله، وحرمانه من مواصلته قبل أن يصل إلى هدفه الأخير. كل ذلك كان يقطع عليه الطريق في وسطه أو في آخره، ويضطره إلى العود لأوله. فيستأنف السير من جديد، وقد تكرر له ذلك في حياته مراراً، ولم يأس ولم يفكر أن ينصرف نهائياً عن المتابعة والمحاولة. حتى في أسوأ الأحوال، وأقسى الظروف. لأن الكفاح في سبيل رسالته التي آمن بها، أصبح جزءاً من حياته، ومرضاً مزمناً غير قابل للعلاج...).

مدير الشؤون الاجتماعية لجماعة عباد الرحمن وهو يضع خاتمة آثاره (الجزائر الثائرة) فقال: ((.. حضرت كثيراً من مجالس الورتلانى مع رجال السياسة. ابتداء من رئيس الجمهورية إلى رؤساء الوزراء، إلى الوزراء والنواب والزعماء والصحفيين. فكان في كل ذلك محل إكبار وإعجاب. فكان في كل ذلك أستاذًا ومعلماً وموجهاً، في كل لغة مشرفة، ومنطق رصين. وكان في كل ذلك تستوقفني منه ظاهرة ملزمة له عجيبة، وهو وفاؤه لوطنه الأول الجزائر والمغرب العربي. ولم أسجل له يوماً العجز على خلق الفرصة، للتحدث عن آلامه وأماله، والدعوة الحارة إلى نصرته ضد الاستعمار. وحضرت له كثيراً من المجالس مع رجال العلم والدين، من مسلمين ومسيحيين، فكانت تتجلى في لغته وأبحاثه معهم. معاني المساء في جمالها وجلالها. ويفجر جو الحاضرين حالة من الروحانية والتأثر، حتى كأنهم صاروا في جو من الصدابة والمحواريين. وحضرته مع الشباب المثقف الشاك، ومع أهل العقائد السياسية من اشتراكيين وشيوعيين وقوميين ونقابيين. فكان

مسرد الإحالات

- (٤) المرجع نفسه، ص ٩٤ و ٩٦.
- (٥) تركي رابع، التعليم القومي والشخصية الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م، ص ١٠٧ و ١٠٨.
- (٦) المرجع نفسه، ص ٩٤ ... ١١٥، ١٩٦، ٩٦ ... ١١٩، ١١١، ٢١١ ... ٢١٨.
- (٧) تركي رابع، التعليم القومي، ص ٩٥.
- (٨) لا يقصد الأستاذ فريد وجدي بل بمفهوم الفتاح نفس الدلالات المعرفية المرادفة للفتح الإسلامي، بل وهو المفكر والزعيم الوطني والعربي - هو أبعد من أن يبعد الفزو الفرنساوي فتحا بدلالاته الإسلامية.

(٩) محمد الأكحل شرقاً، من أبطال الدعوة، جريدة البصائر، عدد ٣٥٨ / ١٦ مارس ١٩٥٦ م.

(١٠) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ج ١، ص ٥٦، وجمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م، ص ١٨١ و ١٨٢.

(١١) سعد الله، أبحاث وأراء، ج ١، ص ٥٦ .. ٥٨.

(١٢) عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م، ص ٩٣.

- (٢٩) محمد فريد يك وجدي. التعليم والمدارس في الجزائر. جريدة اللواء المصرية. عدد ٦١٢، ١٣٠١/١٢. نتلا عن: تركي رابع، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر. ص ٩٧ و ٩٨.
- (٣٠) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الورتيلاني. جريدة النصر الجزائرية. الثلاثاء ١٢/مارس/١٩٩٠. ص ٥ . من علماء الجزائر الأفذاذ - الشيخ فضيل الورتيلاني -. جريدة الشرق الأوسط السعودية. عدد ٤٢١، العدد ٢٧/٠٩/١٩٩٠. ص ١٥.
- (٣١) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الورتيلاني. جريدة النصر الجزائرية، الثلاثاء ١٢ مارس/١٩٩٠. ص ٥ . ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. جريدة النهار الجزائرية. الجمعة ١٥/مارس/١٩٩١. ص ٨.
- (٣٢) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٣٣) محمد البشير الإبراهيمي، الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر. السلسلة الثانية، السنة السابعة. الجمعة ٢٨/ذوالحججة/١٣٧٣هـ الموافق ٢٧/أكتوبر/١٩٥٤م. ص ١.
- (٣٤) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٣٥) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٣٦) محمد البشير الإبراهيمي، الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر. السلسلة الثالثة، السنة الثالثة. الجمعة ٢٨/رجب/١٣٦٩هـ الموافق ١٥/مايو/١٩٥٠م. ص ٧.
- (٣٧) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٣٨) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٣٩) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٠) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤١) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٢) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٣) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٤) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٥) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٦) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٧) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٨) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٤٩) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.
- (٥٠) محمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كتاب مازالت تقاوم النسيان. من ٨.

- الموافق ٤/٢/١٩٣٢ م وكانت تصدر أسبوعيا كل يوم اثنين تحت إشراف وإدارة الشيخ عبد الحميد بن باديس ورئاسة تحرير كل من الشيخ الطيب العتببي، والشيخ محمد السعيد الزاهري، وجاءت لترى على صحف جمعية علماء السنة العيار، التي ظهرت بداية ١٦/١٢/١٩٣٢ م، والإخلاص من التي ظهرت بداية ١٢/١٢/١٩٣٢ م، وأوقفت يوم ٧/١١٩٣٢ م بعد أن صدر منها ثلاثة عشر عددا. انظر: محمد ناصر. الصحف العربية الجزائرية. ص ١٣٠.
- ﴿ جريدة الشريعة (١٩٣٢) التي صدر العدد الأول منها في ١٧/٧/١٩٣٢ الموافق ٢٤/ربيع أول ١٣٥٢ هـ وقد كانت امتداداً لجريدة السنة المعلولة، ولم يصدر منها غير سبعة أعداد، حتى جاء قرار تعطيلها يوم ٢٩/٨/١٩٣٢ م. ﴾
- ﴿ جريدة الصراط السوي (١٩٣٢ - ١٩٣٣). التي ظهر العدد الأول منها في ١١/٩/١٩٣٢ الموافق ٢١/جمادي الأولى ١٣٥٢ هـ وكانت امتداداً لسابقتها الشريعة والسنة المعلولتين، وقد صدر منها العدد السابع عشر حتى عطلتها الإدارة الاستعمارية في يوم ١٨/١١٩٣٣ م، لموافقتها ولخطتها الإصلاحية المصر على نشر الفضيلة والعلم، ومحاربة الرذيلة والجهل. انظر: محمد ناصر. الصحف العربية الجزائرية. مرجع سابق. ص ١٨١. ﴾
- ﴿ جريدة المغرب العربي (١٩٥٧ - ١٩٥٨) الصادرة بالجزائر العاصمة تحت إدارة ورئاسة وتحرير محمد السعيد الزاهري. ﴾
- ﴿ جريدة الشعلة (١٩٥١ - ١٩٥٢ م) صدرت الشعلة لمدة سنة واحدة. وقد ظهر منها (٥٢) عددا، وهي موجودة بمصلحة الأرشيف بولاية قسنطينة مع غالبية الدوريات والجرائد والمجلات العربية والفرنسية تلك الحقبة في قسم الجرائد والمجلات. ﴾
- ﴿ جريدة الوطن موجودة بمكتبة الشيخ العربي التبسي بمدينة تبسة. وقد أخبرني عمال المكتبة أن الأعداد تلك من ملك الشيخ العربي التي كان يرسلها له صديقه الأستاذ فرجات عباس. ﴾
- ﴿ جريدة الأسبوع التونسية موجودة بمكتبة الشيخ العربي بمدينة تبسة. والأعداد هي من مخلفات مكتبة الشيخ

- الثانية، عدد ١٩٥، الإندين ١٥/شوال/١٣٧١ هـ الموافق ٧/جويلية/١٩٥٢ م، ص ٢.
- (٢٨) محمد البشير الإبراهيمي. الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر. السلسة الثانية. السنة السابعة. عدد ٢٨٢. الجمعة ٢٨ ذي الحجة/١٢٧٢ هـ الموافق ٢٧/أوت/١٩٥٤ م، ص ١.
- (٢٩) تعريف بالصحف التي كتب فيها الشيخ الفضيل الورتيلاني :
- ﴿ جريدة النجاح (١٩١٩ - ١٩٥٦) أول صحيفة عربية تأسست بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت يومية في أول أمرها ثم تحولت إلى أسبوعية. وكانت على صلة بوكالة (هاباس) العالمية. وهي صحيفة إخبارية جامعة. أدارها ورئس تحريرها عبد العظيم بن الهاشمي، ثم انضم إليه إسماعيل مامي الصحفي والكاتب الفنتلنبي. ولم يكن لها اتجاه سياسي. إلا الربح المادي، ولذا فقد سخرتها الإدارة الاستعمارية فتيرة لمحاربة الصف الإصلاحي. انظر: محمد ناصر. الصحف العربية الجزائرية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ. ص ٤٢ و ٤٣. ﴾
- ﴿ جريدة المنتقد (١٩٢٥) جريدة أسبوعية صادرة بقسنطينة. رئيس إدارتها الشيخ أحمد يوشمال. ورئيس تحريرها الشيخ عبد الحميد بن باديس. وهي جريدة تمثل الخط الإصلاحي الاجتماعي. وقد دل عليها شعارها فهي جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية . وشعارها (الحق فوق كل واحد . والوطن قبل كل شيء) ولهمجتها الحادة مع الإدارة الاستعمارية عطلتها بعد أربعة أشهر من صدورها. وبعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا، وقد صدر العدد الأول يوم ٢/٧/١٩٢٥ الموافق ١١/ذى الحجة/١٢٤٢ هـ. والعدد الأخير منها يوم ١٠/١٠/١٣٤٤ الموافق ٢٩/١٠/١٩٢٥ م. انظر. محمد ناصر. الصحف العربية الجزائرية. ص ٥٤ و ٥٥. ﴾
- ﴿ جريدة السنة التبوية (١٩٣٢) تعتبر أول جريدة تصدرها جمعية العلماء لتكون اللسان الناطق باسمها. وقد ظهر العدد الأول منها يوم ٨/ذى الحجة/١٣٥١ هـ

(٢١) جريدة البصائر، عدد ١٧٤، سنة ١٩٥١م. نقلًا عن عيون البصائر، الشيخ البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٦٨٨.

(٢٢) محمد البشير الإبراهيمي، الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السابعة، عدد ٢٨٢، الجمعة ٢٨ ذوالحججة ١٣٧٢هـ الموافق ٢٧/أكتوبر ١٩٥٤م، ص ١.

(٢٣) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ص ٤٧٧ و ٤٧٨.

(٢٤) محمد المنصوري النسيري، مصر الشتبثية تحفل بالكتافة الإسلامية الجزائرية، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السادسة، عدد ٢٤٠، الجمعة ٢٠ محرم ١٣٧٢هـ الموافق ١١/سبتمبر ١٩٥٢م، ص ٨.

(٢٥) محمد الأكحل شرقاء، من أبطال الدعوة، جريدة البصائر، عدد ٣٥٨، ١٦ مارس ١٩٥٦م. نقلًا عن الجزائر الثائرة، ص ٤٦١.

(٢٦) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ص ٤٧٠ و ٤٧١.

رحمه الله الذي كانت تصله الكثير من الجرائد العربية. وقد وجدت في مكتبة الكثير من العرائد والمجلات العربية كالرسالة لأحمد حسن الزيات والصادقية.

﴿جريدة المنار الجزائرية الصادرة بمدينة تونس، والتي كانت معبرة إلى حد كبير عن توجهات حزب الشعب، واستمرت في الصدور لمدة ثلاث سنوات ١٩٥١-١٩٥٢م طبعت مؤخرًا في الجزائر﴾

﴿هذه الصحف موجودة بمركز أرشيف ولاية قسنطينة، وهي المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة.﴾

(٢٠) وكالة الأنباء الجزائرية، في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني، ص ٥. ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم التنسان، ص ٨، في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد نقلت رفاته وبأمر منه بعد أن قبل مثواه أحد المستشارين الطيبين، الذي أشار عليه بضرورة إعادة رفاته المهاجرة، نظراً لما فيه من سمعة ومكانة للجزائر. فنعلم برحمة الله مشكوراً.

قائمة المصادر والمراجع

١- المصادر :

(١) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، قسنطينة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٢) الفضيل الورتيلاني، هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين - أنتدوا الممكن منها قبل نزول الفوضى، جريدة البصائر، السنة السابعة، السلسلة الثانية، عدد ٢٨٦، الجمعة ٢٤ محرم ١٣٧٤هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩٥٤م، ص ٧ و ٨. بتصرف.

(٣) بريد الشرق، الأستاذ الرحالة المغربي الفضيل الورتيلاني في الهند وباكستان، جريدة البصائر، السنة الخامسة، السنة الثانية، عدد ١٩٥، الإثنين ١٥ شوال ١٣٧١هـ الموافق ٠٧ جويلية ١٩٥٢م، ص ٢.

(٤) بريد الشرق، الأستاذ الفضيل الورتيلاني في إندونيسيا وسومطرة، جريدة البصائر، السنة الخامسة، السنة الثانية، عدد ١٩٥، الإثنين ١٥ شوال ١٣٧١هـ الموافق ٠٧ جويلية ١٩٥٢م، ص ٢.

(٥) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية.

١٩٧٨م، ج ٢

(٦) وكالة الأنباء الجزائرية، في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني.

٢- المراجع :

(١) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الفرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ج ١.

(٢) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٣) عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

(٤) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٣ - الصحف والمجلات :

- (١) جريدة البصائر، عدد ١٧٢، سنة ١٩٥١ م.
- (٢) محمد المنصورى الفسيري، مصر الشتيبة تحفل بالكتافة الإسلامية الجزائرية، جريدة البصائر، السنة الثانية، السنة السادسة، عدد ٢٠، الجمعة ٢٠/١٠/١٩٥٢ م.
- (٣) محمد البشير الإبراهيمي، الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الوزياني فيه -، جريدة البصائر، السنة الثانية، السنة السابعة، عدد ٢٨٢، الجمعة ٢٨/١٢٧٣هـ الموافق ٢٧/٦/١٩٥٤ م.
- (٤) محمد البشير الإبراهيمي، من أبيطال الدعوة، جريدة البصائر، عدد ٢٥٨، ١٦/٣/١٩٥٦ م.
- (٥) براءة الزعيم الوزياني، جريدة البصائر، السنة الثانية، السنة الثالثة، عدد ١١٩، الإثنين ٢٨/١٢٧٩هـ الموافق ١٥/٥/١٩٥٠ م.
- (٦) مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، جريدة البصائر، السنة السابعة، السنة الثانية، الجمعة ٤/١٢٧١هـ الموافق ١٥/١١/١٩٥٢ م. ص: ٤، وانظر: البيان التاريخي الصادر عن مكتب جمعية العلماء المسلمين العزازيين بالقاهرة
- عن توقيع الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الوزياني.
- (٧) حول زلزال الأصنام، من جمعية العلماء الجزائريين إلى الرئيس جمال عبد الناصر، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السابعة، عدد ٢٨٨، الجمعة ١١/١٢٧٤هـ الموافق ٠٨/١١/١٩٥٤ م. ص: ١.
- (٨) محمد فريد بك وجدي، التعليم والمدارس في الجزائر، جريدة اللواء المصرية، عدد ٦١٢، ١٣/١٠/١٩٤١ م.
- نقلًا من :
- (٩) جريدة النصر الجزائرية، الثلاثاء ١٣/٣/١٩٩٠ م. ص: ٥.
- (١٠) من علماء الجزائر الأفذاذ - الشيخ الفضيل الوزياني -، جريدة الشرق الأوسط السعودية، عدد ٢٢١، الخميس ٢٧/١٢٩٠هـ الموافق ٠٩/١١/١٩٩٠ م. ص: ١٤.
- (١١) وكالة الأنباء الجزائرية، في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الوزياني، جريدة النصر الجزائرية، الثلاثاء ١٢/٣/١٩٩٠ م. ص: ٥.
- (١٢) محمد مصباح، الشيخ العلامة الوزياني ملحمة كتابه مازالت تقواوم التنسیان، جريدة النهار الجزائرية، الجمعة ١٥/٣/١٩٩١ م. ص: ٨.